المنـهج
ورجالات الجيل الأوّل

.. بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ..

.. ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ..

.. بعيداً عن العواطف الهوجاء ، وبحثاً عن الحقيقة ، وخدمةً لمنهجِ الله تعالى ، سننظرُ من منظار العقل المجرّد الذي يأمرنا اللهُ تعالى بتفعيله وعدمِ تطليقِه .. سننظرُ إلى تفاعلِ رجالات الجيل الأوّل مع منهج الله تعالى ، وإلى حقيقةِ ما حصل آنذاك .. هادفين من ذلك تحرّي الحق ومعرفةَ ما لُبّسَ ويُلبَّسُ على الحقيقة .. عاملين بأمْرِ الله تعالى : ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً** ﴾ [الإسراء : ٣٦]

.. منذ وفاة النبيّ ﷺ بدأت الصراعات تظهرُ جليّةً بين رجالات الجيل الأوّل ، وبدأت تتبلورُ اتّجاهاتٌ مختلفةٌ تماماً حول الكثير من القضايا ، سواءٌ كان ذلك على صعيد

إدراك المنهج ، أم على صعيد البعد الدنيوي .. هذا الكلامُ لا نأتي به من جيوبنا ، إنّما هو حقيقةٌ موجودةٌ في روايات الأحاديث ذاتها ، ويستطيعُ قراءتَها كُلُّ باحثٍ عن الحقيقة .. لننظر في الرواية التالية في صحيحي البخاري ومسلم ومسند أحمد ، لنرى هذه الحقيقة ..

البخاري (٥٢٣٧) :

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ مَعْمَرٍ و حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قَالَ لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ فَقَالَ عُمَرُ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ فَاخْتَصَمُوا مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَاباً لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالِاخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُومُوا قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ**

مسلم (٣٠٩١) :

و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدٌ أَخْبَرَنَا و قَالَ ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ **قَالَ لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لَا تَضِلُّونَ بَعْدَهُ فَقَالَ عُمَرُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ فَاخْتَصَمُوا فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَاباً لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالِاخْتِلَافَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ**

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُومُوا قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ

أحمد (١٤١٩٩) :

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ **أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا عِنْدَ مَوْتِهِ بِصَحِيفَةٍ لِيَكْتُبَ فِيهَا كِتَاباً لا يَضِلُّونَ بَعْدَهُ قَالَ فَخَالَفَ عَلَيْهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَتَّى رَفَضَهَا**

.. ما بين : **[[قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَاباً لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ]]** وَما تصفه العبارة **[[أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا عِنْدَ مَوْتِهِ بِصَحِيفَةٍ لِيَكْتُبَ فِيهَا كِتَاباً لا يَضِلُّونَ بَعْدَهُ]]** من جهة ، وما بين : **[[حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ]]** ، بمعنى لا تقرّبوا ، وَما تصوِّره العبارة **[[فَخَالَفَ عَلَيْهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَتَّى رَفَضَهَا]]** من جهة أخرى .. ما بين هذين الموقفين اختلافٌ لا يُمكنُ إغماضُ الأعين عنه .. هذا الاختلاف والنبيُّ ﷺ ما زال على قيدِ الحياة .. وكيف بنا أنْ نفهمَ العبارةَ الواردةَ في هذا الحديث : **[[فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالِاخْتِلَافَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُومُوا]]** .. إذاً كان هناك لغوٌ واختلافٌ في مسألةٍ تُعَدُّ من صلبِ التشريع ، نعم من صلب التشريع ، وإلاّ كيفَ بنا أن نفهمَ العبارة الواردة في هذا الحديث : **[[قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ]]** ..

.. ثمَّ كيف بنا أنْ نفهمَ العبارةَ الواردةَ في هذه الرواية على لسان عمر بن الخطاب : **[[إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ]]** ، لماذا هنا حسبُنا كتابُ الله ، وفي مسائلَ أخرى تُقَدَّمُ الروايات على أنَّ منها ما ينسخ القرآنَ الكريم ، ومنها ما يُقيّدُ أحكامَه .. ثمَّ كيف يُوفّقون بين تفسيرِهم هم لقولِه تعالى :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ [النجم : ٣] ، وبين عدمِ تمييزِهم بين صفتي الرسول والنبي في شخصه ﷺ ، وبين قَوْلِهم بأنَّ السنّةَ تشملُ كُلَّ ما قال ﷺ من جهة ، وبين العبارة الواردة على لسان عمر بن الخطاب : **[[إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ]]** ؟!!! .. فإذا كان الرسول ﷺ يغلبُ عليه الوجع لدرجةِ أنَّ قَوْلَه : **[[هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ]]** ، يُقابَل بالرفض ، فكيف إذاً نأخذُ بعدَ قرونٍ من الزمن ومن أفواه الرجال كُلَّ ما يُقال أنَّه قيل عن الرسول ﷺ ؟!!! .. أم أنَّ الروايةَ ليست صحيحةً من أساسِها ؟ .. لا شكَّ أنَّ مثلَ هذه الرواية يطرحُ أسئلةً مشروعةً لكلِّ من لم يُطلّقْ عَقله ..

.. وبعد وفاة النبيّ ﷺ بدأتْ هذه الخلافات بين أفراد الجيل الأوّل تتبلور وتظهر فوق السطح ، وفي الرواية التالية بيانٌ في ذلك ..

مسلم (٣٣٠٤) :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ أَخْبَرَنَا حُجَيْنٌ حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ **أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ وَفَدَكٍ وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمُسِ خَيْبَرَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْمَالِ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ حَالِهَا الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَأَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى فَاطِمَةَ شَيْئًا فَوَجَدَتْ فَاطِمَةُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ قَالَ فَهَجَرَتْهُ فَلَمْ تُكَلِّمْهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ وَعَاشَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ دَفَنَهَا زَوْجُهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لَيْلًا وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ وَصَلَّى عَلَيْهَا عَلِيٌّ وَكَانَ لِعَلِيٍّ مِنْ النَّاسِ وِجْهَةُ حَيَاةَ فَاطِمَةَ فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ اسْتَنْكَرَ عَلِيٌّ**

وُجُوهَ النَّاسِ فَالْتَمَسَ مُصَالَحَةَ أَبِي بَكْرٍ وَمُبَايَعَتَهُ وَلَمْ يَكُنْ بَايَعَ تِلْكَ الْأَشْهُرَ فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنْ ائْتِنَا وَلَا يَأْتِنَا مَعَكَ أَحَدٌ كَرَاهِيَةَ مَحْضَرِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ وَاللَّهِ لَا تَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَحْدَكَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَمَا عَسَاهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِي إِنِّي وَاللَّهِ لَآتِيَنَّهُمْ فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ فَتَشَهَّدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ثُمَّ قَالَ إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَضِيلَتَكَ وَمَا أَعْطَاكَ اللَّهُ وَلَمْ نَنْفَسْ عَلَيْكَ خَيْرًا سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَكِنَّكَ اسْتَبْدَدْتَ عَلَيْنَا بِالْأَمْرِ وَكُنَّا نَحْنُ نَرَى لَنَا حَقًّا لِقَرَابَتِنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى فَاضَتْ عَيْنَا أَبِي بَكْرٍ فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي وَأَمَّا الَّذِي شَجَرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَمْوَالِ فَإِنِّي لَمْ آلُ فِيهَا عَنْ الْحَقِّ وَلَمْ أَتْرُكْ أَمْرًا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُهُ فِيهَا إِلَّا صَنَعْتُهُ فَقَالَ عَلِيٌّ لِأَبِي بَكْرٍ مَوْعِدُكَ الْعَشِيَّةُ لِلْبَيْعَةِ فَلَمَّا صَلَّى أَبُو بَكْرٍ صَلَاةَ الظُّهْرِ رَقِيَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَتَشَهَّدَ وَذَكَرَ شَأْنَ عَلِيٍّ وَتَخَلُّفَهُ عَنْ الْبَيْعَةِ وَعُذْرَهُ بِالَّذِي اعْتَذَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَتَشَهَّدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَعَظَّمَ حَقَّ أَبِي بَكْرٍ وَأَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى الَّذِي صَنَعَ نَفَاسَةً عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَلَا إِنْكَارًا لِلَّذِي فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهِ وَلَكِنَّا كُنَّا نَرَى لَنَا فِي الْأَمْرِ نَصِيبًا فَاسْتُبِدَّ عَلَيْنَا بِهِ فَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا فَسُرَّ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ وَقَالُوا أَصَبْتَ فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى عَلِيٍّ قَرِيبًا حِينَ رَاجَعَ الْأَمْرَ الْمَعْرُوفَ حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا و قَالَ الْآخَرَانِ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ فَاطِمَةَ وَالْعَبَّاسَ أَتَيَا أَبَا بَكْرٍ يَلْتَمِسَانِ مِيرَاثَهُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمَا حِينَئِذٍ يَطْلُبَانِ أَرْضَهُ مِنْ فَدَكٍ وَسَهْمَهُ مِنْ خَيْبَرَ فَقَالَ لَهُمَا أَبُو بَكْرٍ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ مَعْنَى حَدِيثِ عُقَيْلٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ ثُمَّ قَامَ عَلِيٌّ فَعَظَّمَ مِنْ حَقِّ أَبِي بَكْرٍ وَذَكَرَ فَضِيلَتَهُ وَسَابِقَتَهُ ثُمَّ مَضَى إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَبَايَعَهُ فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَى عَلِيٍّ فَقَالُوا أَصَبْتَ وَأَحْسَنْتَ فَكَانَ النَّاسُ قَرِيباً إِلَى عَلِيٍّ حِينَ قَارَبَ الْأَمْرَ الْمَعْرُوفَ

.. حسبَ هذه الرواية ، فاطمة بنت النبي ﷺ لم تكلّم أبا بكرٍ حتى توفّيت ، وَلَمَّا تُوُفِّيَتْ دَفَنَهَا زَوْجُهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لَيْلاً ، وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ ، وبعد أن تُوفّيت

التمس عليٌّ مصالحةَ أبي بكر ومبايعتَه ، لأنّه لم يكن قد فعل ذلك حتى تلك اللحظة ، وَأَرْسَلَ عليٌّ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنْ ائْتِنَا ، وَلَا يَأْتِنَا مَعَكَ أَحَدٌ كَرَاهِيَةَ مَحْضَرِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ .. هذه مواقفُ مذكورةٌ في هذه الرواية ، وتبيّنُ لنا أنَّ الحالةَ بين أفرادِ الجيلِ الأوَّل لم تكن بأحسنِ حال كما يُخْطَبُ على الكثيرِ من المنابر .. إذا كانَ الأمْرُ هكذا في رواياتٍ تنتمي لذاتِ المنهجِ الفكري الداعي إلى مكيجةِ أفراد الجيل الأوَّل ، فكيف إذاً يكونُ الأمْرُ في واقِعِه ومن مناظيرَ أكثر تجرّداً ... ومن المستحيلِ تأويلُ هذه العبارات الواردة في هذه الرواية ، وجمعُها مع رواياتٍ تذهبُ نقيضَ هذه المواقف ، إلاَّ بإخراجِ مثلِ هذه الرواية وغيرِها من الصحاح ..

.. ولننظر في الرواية التالية لنرى كيف أنَّ المُناخ بين بعضِ أفراد الجيل الأوّل لم يكن كما يُصوّره الكثيرون ، وأنّ الخلافات كانت تأخذ طابعاً سياسيّاً يُوَظَّفُ فيه الدين – في الكثير من الأحيان – لصالح المصالح السياسيّة ..

البخاري (٤٤٥٣) :

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ أَبِي بِشْرٍ عَنْ يُوسُفَ بْنِ مَاهَكَ قَالَ **كَانَ مَرْوَانُ عَلَى الْحِجَازِ اسْتَعْمَلَهُ مُعَاوِيَةُ فَخَطَبَ فَجَعَلَ يَذْكُرُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ لِكَيْ يُبَايَعَ لَهُ بَعْدَ أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ شَيْئًا فَقَالَ خُذُوهُ** فَدَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ فَلَمْ يَقْدِرُوا فَقَالَ مَرْوَانُ إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي فَقَالَتْ عَائِشَةُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِينَا شَيْئًا مِنْ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عُذْرِي

.. لأنّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ قال شَيْئًا ممّا لا يُريدُه معاوية ، لأجل ذلك قال مروان : **[[خُذُوهُ]]** .. ولا شكَّ أنَّ ما قالَه عبد الرحمن بن أبي بكر هو ضد مبايعة يزيد بالخلافة بعد أبيه معاوية ، ولو كان هناك اعتبارٌ لقوْلِ الله تعالى : ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الشورى : ٣٨] ، ولقوْلِه تعالى : ﴿ **وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا** ﴾ [الجن : ١٨] ، لو كان هناك ذرّةُ اعتبارٍ لأحكامِ الله تعالى لما حصلتْ هذه

الحادثة من أساسِها ، ولما طُوردَ عبد الرحمن بن أبي بكر حتى دخلَ بيتَ عائشة .. لو كان هناكَ ذرّةُ اعتبارٍ لقولِه تعالى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ لما بويع – أصلاً – ليزيدِ بالخلافة بعد أبيه معاوية ، وَلَما تحوّلت الدولة المحسوبة على الإسلام إلى دولةٍ ملكيّة يُولدُ الرجلُ فيها من رحم أمّه أميراً للمؤمنين ..

.. إذاً الخلافُ ليس على عدد الركعات اليوميّة ، ولا على تفسير آيةٍ من كتاب الله تعالى .. الخلاف كان على السلطة .. أي على أُمورٍ دنيويّةٍ لا علاقةَ لها بمنهجِ الله تعالى ، بل تخالف منهجَ الله تعالى جملةً وتفصيلاً .. ألا نرى في هذه الرواية أنَّ عائشة تُكذِّب مَروان في مسألةٍ بأسبابِ نزول القرآن الكريم .. ألا نرى في هذه الرواية أنَّ مروان يتّهم عبد الرحمن بن أبي بكر بالكفر الصريح الذي يذكره القرآنُ الكريم .. وإلاّ كيف بنا أنْ نفهم العبارات التالية من هذه الرواية : **[[فَقَالَ مَرْوَانُ إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي فَقَالَتْ عَائِشَةُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِينَا شَيْئاً مِنْ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عُذْرِي]]** .. أليس أبطالُ هذه القصّة كُلّهم من أفراد الجيل الأوّل .. !؟

.. ولو نظرنا في **الكامل في التاريخ لابن الأثير** ، لرأينا – في موضوع هذا الحديث – نصاً أكثرَ وضوحاً في الإعراض عن المبدأ القرآني : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ ، وفي تحويل هذا المبدأ – على أرض الواقع – إلى نظامٍ ملكي قسريٍّ ، لا علاقة له بالإسلام وتعاليمه ، لا من قريب ولا من بعيد ..

[[فقام مروان فيهم وقال : إنّ أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل وقد استخلف ابنه يزيد بعده ، فقام عبد الرحمن بن أبي بكر فقال : (كذبت والله يا مروان وكذب معاوية ، ما الخيار أردتما لأمّة محمد ، ولكنّكم تريدون أن تجعلوها هرقلية ، كلّما مات هرقل قام هرقل) ، فقال مروان هذا الذي أنزل الله فيه : ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ فسمعت عائشة مقالته فقامت من وراء الحجاب وقالت : (يا مروان يا

مروان) ، فأنصت الناس ، وأقبل مروان بوجهه فقالت : أنت القائل لعبد الرحمن أنّه نزل فيه القرآن ! ، كذبتَ ، والله ما هو ولكنّه فلان بن فلان ، ولكنّك أنت فضض من لعنة نبيّ الله]] ..

.. ولننظر إلى الرواية التالية لنرى كيف أنَّ أفعالَ الصحابة وأقوالهمَ فيها الخطأ ، ولا تُعَبِّر بالضرورة عن تجسيدٍ للسنّةِ الشريفة أو عن تجسيدٍ لأحكامِ كتابِ الله تعالى ..

موطأ مالك (الحدود) :

و حَدَّثَنِي مَالِك أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ أُتِيَ بِامْرَأَةٍ قَدْ وَلَدَتْ فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ **فَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُرْجَمَ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لَيْسَ ذَلِكَ عَلَيْهَا** إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا وَقَالَ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ فَالْحَمْلُ يَكُونُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ فَلَا رَجْمَ **عَلَيْهَا فَبَعَثَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فِي أَثَرِهَا فَوَجَدَهَا قَدْ رُجِمَتْ**

.. هل رَجْمُ امرأةٍ بريئةٍ هو سنّةٌ لمجرّدِ أنَّ هذا الفعلَ قامَ به صحابيٌّ من رجال الجيل الأوّل ، لماذا لا تكونُ هذه القصّةُ – وغيرُها الكثير – دليلاً على أنَّ أفعالَ الصحابةِ وأقوالَهم لا تُعبِّرُ بالضرورة عن السنّة الشريفة ، حتّى وإن كان أحدُهم من الخلفاء الراشدين ؟!!! .. ولننظر في الرواية التالية لنرى أيضاً أنّ أفعال الصحابة ليست بالضرورة تجسيداً لسنةٍ أو قرآن ..

سنن الدارمي (١٤٤) :

أَخْبَرَنَا أَبُو النُّعْمَانِ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ حَازِمٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ **أَنَّ رَجُلاً يُقَالُ لَهُ صَبِيغٌ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ فَقَالَ مَنْ أَنْتَ قَالَ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ صَبِيغٌ فَأَخَذَ عُمَرُ عُرْجُوناً مِنْ تِلْكَ الْعَرَاجِينِ فَضَرَبَهُ وَقَالَ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ فَجَعَلَ لَهُ ضَرْباً حَتَّى دَمِيَ رَأْسُهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَسْبُكَ قَدْ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي**

.. إنّنا لا نجدُ في نصِّ هذه الرواية من ذنبٍ لهذا الرجل إلاّ أنّه سأل سؤالاً عن مسألةٍ موجودةٍ في كتاب الله تعالى ، فالعبارة التي تُصوِّرُ فِعْلَ هذا الرجل هي أنّه كان : **[[يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ]]** ، والسؤال عن مسألةٍ موجودةٍ في كتاب الله تعالى ليس أمراً محدثاً ، بل إنَّ تدبّر كتاب الله تعالى يقتضي السؤال عن كلِّ أمرٍ يحمله كتاب الله تعالى ..

.. وحتى بوجود رواياتٍ تذكر أنَّ صَبيغاً العِراقيَّ قدم مصر يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين ، وأنَّ عمرو بن العاص بعث به إلى عمر بن الخطاب لمعاقبته على ذلك ، حتى لو كان ذلك صحيحاً ، فإنَّ سؤاله هذا عن مسائلَ موجودةٍ في كتاب الله تعالى ، ليس جريمةً وليس محدَثَةً عقوبتُها أن يُدمَى رأسُ السائل ... ولماذا لم نرَ في الروايات إجابةً على أسئلته تلك ؟!!! .. فلماذا لا تكون الإجابةُ على أسئلته حلاً بديلاً عن ضربه بعراجين النخل ؟!!! ..... واختراعُ أيِّ ذنبٍ آخر لهذا الرجل كتبريرٍ لضربِ رأسه بعراجين النخل حتى إدمائه ، لا تُسعفه الصياغة اللغويّة لهذه الرواية ..

.. فهل هذه الرواية بهذه الحيثيّة من الصياغة موضوعة ، أم أنّها صحيحة وهي سنّةٌ نضربُ عبرها كُلَّ من يسألُ عن مسألةٍ قرآنيّةٍ ، أم أنّها حادثةٌ لا علاقةَ لها بالسنّةِ والدين لا من قريبٍ ولا من بعيد ؟ .. إنّها أسئلةٌ مشروعةٌ لمن لم يُطلِّقْ عَقْلَه ..

.. ولننظر في الحديث التالي كيف أنَّ عُمَر لم يقنع بقولِ عمّار في مسألةٍ من صلب الدين ، وعاش أحداثَها عمر وعمّارٌ سويّة ، وتعودُ أحداثُها إلى عصر النبيِّ ﷺ ، وللنبيِّ ﷺ قولٌ بها .. على الرغم من كلِّ ذلك ، يأمر عمر عماراً بعدم الحديث بها ... ولننظر كيف يستجيب عمّار لعمر في ذلك ، فَيَعرض عمّارٌ على عمر عدمَ الحديث بها ، على الرغم من أنَّه يحدّث بمسألةٍ عاشها هو وعمر سويةً ، وينقلُ بها عمّارٌ قولَ الرسول ﷺ ؟!!!!! ..

مسلم (٥٥٣) :

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَاشِمٍ الْعَبْدِيُّ حَدَّثَنَا يَحْيَى يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ الْقَطَّانَ عَنْ شُعْبَةَ قَالَ حَدَّثَنِي الْحَكَمُ عَنْ ذَرٍّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلاً أَتَى عُمَرَ فَقَالَ إِنِّي أَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدْ مَاءً فَقَالَ لَا تُصَلِّ فَقَالَ عَمَّارٌ أَمَا تَذْكُرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَنَا وَأَنْتَ

فِي سَرِيَّةٍ فَأَجْنَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ مَاءً فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَّكْتُ فِي التُّرَابِ وَصَلَّيْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَضْرِبَ بِيَدَيْكَ الْأَرْضَ ثُمَّ تَنْفُخَ ثُمَّ تَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَكَ وَكَفَّيْكَ فَقَالَ عُمَرُ اتَّقِ اللَّهَ يَا عَمَّارُ قَالَ إِنْ شِئْتَ لَمْ أُحَدِّثْ بِهِ قَالَ الْحَكَمُ وَحَدَّثَنِيهِ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى عَنْ أَبِيهِ مِثْلَ حَدِيثِ ذَرٍّ قَالَ وَحَدَّثَنِي سَلَمَةُ عَنْ ذَرٍّ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ الَّذِي ذَكَرَ الْحَكَمُ فَقَالَ عُمَرُ نُوَلِّيكَ مَا تَوَلَّيْتَ و حَدَّثَنِي إِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْحَكَمِ قَالَ سَمِعْتُ ذَرًّا عَنْ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى قَالَ قَالَ الْحَكَمُ وَقَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلاً أَتَى عُمَرَ فَقَالَ إِنِّي أَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدْ مَاءً وَسَاقَ الْحَدِيثَ وَزَادَ فِيهِ قَالَ عَمَّارٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ شِئْتَ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ حَقِّكَ لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا وَلَمْ يَذْكُرْ حَدَّثَنِي سَلَمَةُ عَنْ ذَرٍّ

البخاري (٣٣٤) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقٍ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَجْنَبَ فَلَمْ يَجِدْ الْمَاءَ شَهْرًا أَمَا كَانَ يَتَيَمَّمُ وَيُصَلِّي فَكَيْفَ تَصْنَعُونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ رُخِّصَ لَهُمْ فِي هَذَا لَأَوْشَكُوا إِذَا بَرَدَ عَلَيْهِمْ الْمَاءُ أَنْ يَتَيَمَّمُوا الصَّعِيدَ قُلْتُ وَإِنَّمَا كَرِهْتُمْ هَذَا لِذَا قَالَ نَعَمْ فَقَالَ أَبُو مُوسَى **أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ عَمَّارٍ لِعُمَرَ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ فَأَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدْ الْمَاءَ فَتَمَرَّغْتُ فِي الصَّعِيدِ كَمَا تَمَرَّغُ الدَّابَّةُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَصْنَعَ هَكَذَا فَضَرَبَ بِكَفِّهِ ضَرْبَةً عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ نَفَضَهَا ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا ظَهْرَ كَفِّهِ بِشِمَالِهِ أَوْ ظَهْرَ شِمَالِهِ بِكَفِّهِ ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَفَلَمْ تَرَ عُمَرَ لَمْ يَقْنَعْ بِقَوْلِ عَمَّارٍ** وَزَادَ يَعْلَى عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقٍ كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي مُوسَى فَقَالَ أَبُو مُوسَى أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ عَمَّارٍ لِعُمَرَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَنِي أَنَا وَأَنْتَ فَأَجْنَبْتُ فَتَمَعَّكْتُ بِالصَّعِيدِ

فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْنَاهُ فَقَالَ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ هَكَذَا وَمَسَحَ وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ وَاحِدَةً

.. ألاّ تدلُّ هذه الرواية – والكثيرُ غيرها – على أنَّ أفراد الجيل الأوَّل هم ذاتهم لم يقنع بعضُهُم بحديث بعضِهم ، حتى في مسائل عاشوها معاً ، ومن صلب الدين ، وتنسب إلى الرسول ﷺ ؟!!!!!!! .. فكيف يكونُ الأمرُ إذاً بعد قرونٍ من موتِهم ، وبعد حروبٍ بدأت بينهم وأحرقت الأخضر واليابس ؟!!!!!! .. نترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

.. وللنظر في الروايةِ التالية لنرى – أيضاً – الخلاف في مسائل الدين والثقة والنقل بين أفرادِ الجيل الأوّل ..

مسلم (٢٢٠٠) :

و حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْمَسْجِدَ فَإِذَا **عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ** جَالِسٌ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ الضُّحَى فِي الْمَسْجِدِ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ صَلَاتِهِمْ فَقَالَ بِدْعَةٌ فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَمْ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَرْبَعَ عُمَرٍ إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ **فَكَرِهْنَا أَنْ نُكَذِّبَهُ وَنَرُدَّ عَلَيْهِ** وَسَمِعْنَا اسْتِنَانَ عَائِشَةَ فِي الْحُجْرَةِ فَقَالَ عُرْوَةُ أَلَا تَسْمَعِينَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَالَتْ وَمَا يَقُولُ قَالَ يَقُولُ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ عُمَرٍ إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ فَقَالَتْ يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَهُوَ مَعَهُ وَمَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ قَطُّ

.. من الواضح وضوح الشمس أنَّ الرواةَ يتّهمون عبدَ الله بن عُمر بالكذب المُتَعَمَّد في مسألةٍ يعلمُها ، فقولهم في هذه الرواية : **[[فَكَرِهْنَا أَنْ نُكَذِّبَهُ وَنَرُدَّ عَلَيْهِ]]** يؤكّدُ ذلك .. وقول عائشة في نهاية الرواية يؤكّدُ ما يذهب إليه الرواة : **[[فَقَالَتْ وَمَا يَقُولُ قَالَ يَقُولُ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ عُمَرٍ إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ فَقَالَتْ يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا**

عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَهُوَ مَعَهُ وَمَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ قَطُّ]] ..

.. إمّا أنَّ هذه الرواية صحيحة وبالتالي قد يَنْقُلُ رجالُ الجيل الأوّل عن النبيِّ ﷺ أموراً ليست صحيحة ، وسواءٌ كان ذلك مُتعمّداً أو نسياناً فالنتيجة واحدة .. أو أنَّ هذه الرواية ليست صحيحة ، وبالتالي لا يُمكننا الاعتمادُ على مثل هذه الروايات في أخذ الأحكام دون معايرة حقيقيّة على كتاب الله تعالى ..

.. ولننظر إلى قولِ معاوية ، كيف أنّه يُحذِّرُ من الأحاديث التي في غير عصر عمر بن الخطّاب ..

مسلم (١٧١٩) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ أَخْبَرَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ يَزِيدَ الدِّمَشْقِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ الْيَحْصَبِيِّ **قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ إِيَّاكُمْ وَأَحَادِيثَ إِلَّا حَدِيثاً كَانَ فِي عَهْدِ عُمَرَ فَإِنَّ عُمَرَ كَانَ يُخِيفُ النَّاسَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ** سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّمَا أَنَا خَازِنٌ فَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ فَيُبَارَكُ لَهُ فِيهِ وَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ وَشَرَهٍ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ

.. مع قولِ معاوية في هذا الحديث : **[[إِيَّاكُمْ وَأَحَادِيثَ إِلَّا حَدِيثاً كَانَ فِي عَهْدِ عُمَرَ]]** ، مع هذا القول ، ماذا نفعل في قولِ أبي هريرة في **تذكرة الحفّاظ** حينما سأله أبو سلمة السؤال التالي : أكنت تحدث في زمان عمر هكذا ؟ **فأجابه أبو هريرة : [[لو كنت أحدث في زمان عمر مثل ما أُحدثكم لضربني بمخفقته]]** .. ومع قولِ معاوية في هذا الحديث : **[[إِيَّاكُمْ وَأَحَادِيثَ إِلَّا حَدِيثاً كَانَ فِي عَهْدِ عُمَرَ]]** ، ماذا نفعل في قولِ أبي هريرة في **جامع بيان العلم وفضله : [[لقد حدثتكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر لضربني بالدّرة]]** ؟!!! ..

.. فهل آلافُ الأحاديث التي رُوِيَت عن أبي هريرة بعد وفاة عمر بن الخطاب ، وبعد ذهاب الخوف من الضرب بالدرّة وبالمخفقة ، هل هي ليست صحيحة عملاً بنصيحة معاوية ؟!!! .. أم أنَّ هذه الرواية موضوعة ؟!!! .. وفي الحالتين .. كيف بنا أنْ نعدّ مثلَ هذه الروايات نصوصاً من المُقدَّس ؟!!! ..

.. كيف بنّا أن نُصوِّرَ أفرادَ الجيل الأوّل بأنّهم كانوا يأخذون بكلّ ما يسمعونه من بعضِهم عن الرسول ﷺ ، في الوقت ذاته الذي نقرأُ فيه الحديثَ التالي ..

مسلم : (٣٩١٥) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي رَزِينٍ قَالَ **خَرَجَ إِلَيْنَا أَبُو هُرَيْرَةَ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ فَقَالَ أَلَا إِنَّكُمْ تَحَدَّثُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَهْتَدُوا وَأَضِلَّ** أَلَا وَإِنِّي أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُ أَحَدِكُمْ فَلَا يَمْشِ فِي الْأُخْرَى حَتَّى يُصْلِحَهَا و حَدَّثَنِيهِ عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ أَخْبَرَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي رَزِينٍ وَأَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْمَعْنَى

.. أليس المعنيون بقول أبي هريرة : **[[أَلَا إِنَّكُمْ تَحَدَّثُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَهْتَدُوا وَأَضِلَّ]]** ، أليسوا من رجالات الجيل الأوّل ، بل ومنهم من أخذ عنه مُسلم ؟ .. ألا تحملُ هذه الروايةُ شكّاً من بعضِ رجالات الجيل الأوّل بما كان يُحدّثُه أبو هريرة عن النبي ﷺ ؟ ..... في هذه الرواية نرى صيغةَ المخاطَب دون الغائب : **[[أَلَا إِنَّكُمْ تَحَدَّثُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَهْتَدُوا وَأَضِلَّ]]** ، إذاً الذين كانوا يتّهمون أبا هريرة بالكذب على الرسول ﷺ منهم راوي الحديث وغيره من رجال الجيل الأوّل الموجودين حينما تحدّث أبو هريرة بحديثه هذا .. فأبو هريرة لم يقل : [[أَلَا إِنّهم يَحَدَّثُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَهتدوا وَأَضِلَّ]] ، إنّما يقول : **[[أَلَا إِنَّكُمْ تَحَدَّثُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَهْتَدُوا وَأَضِلَّ]]** ..

.. وبناءً على هذه الرواية في الصحاحِ ذاتِها ، كيف يُمكننا أن نُنكـــرَ مـــا رُويَ في **البداية والنهاية** عن السائب بن يزيد إذ قال : **[[سمعت عمر بن الخطـــاب يقـــول لأبي هريرة : لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بـــأرض دوس ، وقـــال لكعـــب الأحبار : لتتركن الحديث عن الأُوَل أو لألحقنك بأرض القردة]]** ..

.. وبناءً على هذه الرواية في الصحاحِ ذاتِها ، كيف يُمكننا أن نُنكـــرَ مـــا رُويَ في **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي** عن السائب بن يزيد إذ قال : **[[أرسلني عثمان بن عفّان إلى أبي هريرة قال : قل له : يقول لك أمير المؤمنين : ما هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ؟ لقد أكثرت لتنتهين أو لألحقنك بجبال دوس ...]]** ..

.. أليس من الممكن أن يُفهمَ من الروايةِ التالية أنَّ الزُّبَيْرَ يغمزُ من بعض مـــن كـــان يُحدّثُ عن الرسول ﷺ ..

البخاري (١٠٤) :

حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ **قُلْتُ لِلزُّبَيْرِ إِنِّي لَا أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا يُحَدِّثُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ قَالَ أَمَا إِنِّي لَمْ أُفَارِقْهُ وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**

.. فالزُّبيْرُ في هذه الرواية يؤكّدُ أنّه لم يفارق الرسول ﷺ .. وعلى الرغم من ذلك لم يُحّدث مثل فلان وفلان لأنّه سمع الرسولَ ﷺ يقول : **[[مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ]]** .. ربّ قائل يقول لماذا نقرأُ من هذه الرواية ما تذهبُ إليه من أنَّ الـــزُّبير كـــان يغمز من الذين كانوا يروون في عصره عن النبيِّ ﷺ .. نقول : لو قرأنا الروايات التالية لما كنّا سنستغربُ الأمر ..

مسلم (كتاب المقدمة) :

و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ وَسَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ سَعِيدٌ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنْ هِشَامِ بْنِ حُجَيْرٍ عَنْ طَاوُسٍ قَالَ جَاءَ هَذَا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَعْنِي بُشَيْرَ بْنَ

كَعْبٍ فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ عُدْ لِحَدِيثِ كَذَا وَكَذَا فَعَادَ لَهُ ثُمَّ حَدَّثَهُ فَقَالَ لَهُ عُدْ لِحَدِيثِ كَذَا وَكَذَا فَعَادَ لَهُ فَقَالَ لَهُ مَا أَدْرِي أَعَرَفْتَ حَدِيثِي كُلَّهُ وَأَنْكَرْتَ هَذَا أَمْ أَنْكَرْتَ حَدِيثِي كُلَّهُ وَعَرَفْتَ هَذَا **فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّا كُنَّا نُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ لَمْ يَكُنْ يُكْذَبُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ تَرَكْنَا الْحَدِيثَ عَنْهُ و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ إِنَّمَا كُنَّا نَحْفَظُ الْحَدِيثَ وَالْحَدِيثُ يُحْفَظُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا إِذْ رَكِبْتُمْ كُلَّ صَعْبٍ وَذَلُولٍ فَهَيْهَاتَ و حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ سُلَيْمَانُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْغَيْلَانِيُّ** حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ يَعْنِي الْعَقَدِيَّ حَدَّثَنَا رَبَاحٌ عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ مُجَاهِدٍ **قَالَ جَاءَ بُشَيْرٌ الْعَدَوِيُّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَجَعَلَ يُحَدِّثُ وَيَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَا يَأْذَنُ لِحَدِيثِهِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَالِي لَا أَرَاكَ تَسْمَعُ لِحَدِيثِي أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا تَسْمَعُ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّا كُنَّا مَرَّةً إِذَا سَمِعْنَا رَجُلًا يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْتَدَرَتْهُ أَبْصَارُنَا وَأَصْغَيْنَا إِلَيْهِ بِآذَانِنَا فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ لَمْ نَأْخُذْ مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَا نَعْرِفُ**

سنن ابن ماجة (٢٧) :

حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَنْبَأَنَا مَعْمَرٌ عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ **قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ إِنَّمَا كُنَّا نَحْفَظُ الْحَدِيثَ وَالْحَدِيثُ يُحْفَظُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا إِذَا رَكِبْتُمْ الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ فَهَيْهَاتَ**

الدارمي (٤٢٧) :

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ هِشَامِ بْنِ حُجَيْرٍ عَنْ طَاوُسٍ قَالَ جَاءَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَعِدْ عَلَيَّ الْحَدِيثَ الْأَوَّلَ قَالَ لَهُ بُشَيْرٌ مَا أَدْرِي عَرَفْتَ حَدِيثِي كُلَّهُ وَأَنْكَرْتَ هَذَا أَوْ عَرَفْتَ هَذَا وَأَنْكَرْتَ حَدِيثِي كُلَّهُ **فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**

إِنَّا كُنَّا نُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ لَمْ يَكُنْ يُكْذَبُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ تَرَكْنَا الْحَدِيثَ عَنْهُ

الدارمي (٤٢٨) :

أَخْبَرَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ أَبَانَ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ **كُنَّا نَحْفَظُ الْحَدِيثَ وَالْحَدِيثُ يُحْفَظُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى رَكِبْتُمْ الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ**

مسلم (كتاب المقدّمة) :

و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَتَّابٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَفَّانُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ عَنْ أَبِيهِ **قَالَ لَمْ نَرَ الصَّالِحِينَ فِي شَيْءٍ أَكْذَبَ مِنْهُمْ فِي الْحَدِيثِ** قَالَ ابْنُ أَبِي عَتَّابٍ فَلَقِيتُ أَنَا مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ فَسَأَلْتُهُ عَنْهُ فَقَالَ عَنْ أَبِيهِ **لَمْ تَرَ أَهْلَ الْخَيْرِ فِي شَيْءٍ أَكْذَبَ مِنْهُمْ فِي الْحَدِيثِ قَالَ مُسْلِم يَقُولُ يَجْرِي الْكَذِبُ عَلَى لِسَانِهِمْ وَلَا يَتَعَمَّدُونَ الْكَذِبَ**

.. إذا كان الناسُ قد ركبوا الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ وكذبّوا على الرسول ﷺ منذ عصر ابن عبّاس ، وإذا كان أهل الخير تصفهم العبارة : **[[لَمْ تَرَ أَهْلَ الْخَيْرِ فِي شَيْءٍ أَكْذَبَ مِنْهُمْ فِي الْحَدِيثِ قَالَ مُسْلِم يَقُولُ يَجْرِي الْكَذِبُ عَلَى لِسَانِهِمْ وَلَا يَتَعَمَّدُونَ الْكَذِبَ]]** ، فكيف إذاً يكونُ الأمْرُ في عصرِ تدوين الحديث ، وبعد انقضاء الفتن التي أحرقت الأخضرَ واليابس ؟!!! .. نترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

.. ولننظر في الحديث التالي ..

أحمد (١٩٠٤٧) :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنَا أَبُو هَارُونَ الْغَنَوِيُّ عَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ أَيْ مُطَرِّفُ وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَرَى أَنِّي **لَوْ شِئْتُ حَدَّثْتُ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ لا أُعِيدُ حَدِيثاً ثُمَّ لَقَدْ زَادَنِي بُطْئاً عَنْ ذَلِكَ وَكَرَاهِيَةً لَهُ أَنَّ رِجَالاً مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِدْتُ كَمَا**

شَهِدُوا وَسَمِعْتُ كَمَا سَمِعُوا يُحَدِّثُونَ أَحَادِيثَ مَا هِيَ كَمَا يَقُولُونَ وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُمْ لا يَأْلُونَ عَنْ الْخَيْرِ فَأَخَافُ أَنْ يُشَبَّهَ لِي كَمَا شُبِّهَ لَهُمْ فَكَانَ أَحْيَاناً يَقُولُ لَوْ حَدَّثْتُكُمْ أَنِّي سَمِعْتُ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَا وَكَذَا رَأَيْتُ أَنِّي قَدْ صَدَقْتُ وَأَحْيَاناً يَعْزِمُ فَيَقُولُ سَمِعْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا قَالَ أَبُو عَبْد الرَّحْمَنِ حَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ عَنْ أَبِي هَارُونَ الْغَنَوِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي هَانِئٌ الْأَعْوَرُ عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ عِمْرَانَ هُوَ ابْنُ حُصَيْنٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ هَذَا الْحَدِيثِ فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ فَاسْتَحْسَنَهُ وَقَالَ زَادَ فِيهِ رَجُلاً

.. أليست العبارات **[[أَنَّ رِجَالاً مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِدْتُ كَمَا شَهِدُوا وَسَمِعْتُ كَمَا سَمِعُوا يُحَدِّثُونَ أَحَادِيثَ مَا هِيَ كَمَا يَقُولُونَ]]** دليلاً جليّاً على أنَّ الخلط والنسيان والوضع بدأ منذ الجيل الأوَّل ؟ ..

.. ولننظر إلى الرواية التالية كيف تُصوِّرُ بدايةَ الوضعَ على الرسول ﷺ منذ الجيل الأوّل ، وكيف أنّ الاعتصامَ بالقرآن الكريم هو المخرجُ الوحيد للوصول إلى الحق ..

الدارمي (٣١٩٧) :

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الرِّفَاعِيُّ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ الْجُعْفِيُّ عَنْ حَمْزَةَ الزَّيَّاتِ عَنْ أَبِي الْمُخْتَارِ الطَّائِيِّ عَنْ ابْنِ أَخِي الْحَارِثِ عَنْ **الْحَارِثِ قَالَ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا أُنَاسٌ يَخُوضُونَ فِي أَحَادِيثَ فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ فَقُلْتُ أَلَا تَرَى أَنَّ أُنَاساً يَخُوضُونَ فِي الْأَحَادِيثِ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ قَدْ فَعَلُوهَا قُلْتُ نَعَمْ قَالَ أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ سَتَكُونُ فِتَنٌ قُلْتُ وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا قَالَ كِتَابُ اللَّهِ كِتَابُ اللَّهِ** فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا يَخْلَقُ

عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا هُوَ الَّذِي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ

الدارمي (٤٦٩) :

أَخْبَرَنَا يَزِيدُ أَخْبَرَنَا الْعَوَّامُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ قَالَ **بَلَغَ ابْنَ مَسْعُودٍ أَنَّ عِنْدَ نَاسٍ كِتَاباً يُعْجَبُونَ بِهِ فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى أَتَوْهُ بِهِ فَمَحَاهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا هَلَكَ أَهْلُ الْكِتَابِ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ أَقْبَلُوا عَلَى كُتُبِ عُلَمَائِهِمْ وَتَرَكُوا كِتَابَ رَبِّهِمْ**

.. لَمّا كان المخرج من الفِتن الناتجة عن الخوض في الأحاديث هو كتابُ الله تعالى : **[[قَالَ أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ سَتَكُونُ فِتَنٌ قُلْتُ وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا قَالَ كِتَابُ اللَّهِ كِتَابُ اللَّهِ]]** ، وهذه الحقيقةُ موجودةٌ في كتب الحديث ذاتِها .. فلماذا تُرْفَعُ هذه الروايات إلى درجة المقدَّس الذي تُعتبر فيه جزءاً من المنهج ، بل وتملك صلاحيةَ نسخ بعضِ أحكام كتابِ الله تعالى كما يزعم بعضهم ، وتملك صلاحيةَ تخصيص مطلق أحكام كتاب الله تعالى وإطلاق مخصّصه ، كما يزعمون ؟!!! .. لماذا لا يكونُ معيارُ صحّتها مُجرّداً عن السند ومستنداً إلى موافقتِها لدلالاتِ كتابِ الله تعالى ؟!!! .. نترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

.. ولننظر في الرواية التالية لنرى كيف ينظرُ معاوية إلى آيةٍ من كتاب الله تعالى :

البخاري (٤٢٩٣) :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ حُصَيْنٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ **مَرَرْتُ عَلَى أَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ فَقُلْتُ مَا أَنْزَلَكَ بِهَذِهِ الْأَرْضِ قَالَ كُنَّا بِالشَّأْمِ فَقَرَأْتُ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ قَالَ مُعَاوِيَةُ مَا هَذِهِ فِينَا مَا هَذِهِ إِلَّا فِي أَهْلِ الْكِتَابِ قَالَ قُلْتُ إِنَّهَا لَفِينَا وَفِيهِمْ**

.. أبو ذرٍّ أُنزلَ بالربذةِ ، وكلُّ ما فعلَه أنّه لا يُخصِّصُ كتابَ الله تعالى إرضاءً لمن يكترون الذهب والفضّة ، هذا ما تقولُه الرواية ، وهذا ما يُدركُه منها كُلُّ من يملك حدّاً أدنى من إدراكِ قواعد اللغة العربيّة ..

وهذا الشَّعْبِيُّ قد جالسَ ابنَ عُمر سنةً ، و لم يسمعه يذكر حديثاً عن الرسول ﷺ ..

الدارمي (٢٧٥) :

أَخْبَرَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي السَّفَرِ عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ جَالَسْتُ ابْنَ عُمَرَ سَنَةً فَلَمْ أَسْمَعْهُ يَذْكُرُ حَدِيثاً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ابن ماجة (٢٦) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي السَّفَرِ قَالَ **سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ جَالَسْتُ ابْنَ عُمَرَ سَنَةً فَمَا سَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئاً**

.. فمن أين أتتنا – إذاً – الأحاديثُ المرويّةُ عن عبد الله بن عُمر ؟!!! .. أم أنَّ هذه الروايةَ ليست صحيحة ، أم أنَّ ابن عمر كان أبكماً في السنة التي جالسه فيها الشَّعْبِيُّ ؟ .. أم أنّنا نحتاجُ لتخريجِ ذلك تأويلاً نأتي به من جيوبنا ؟ .. الشَّعْبِيُّ في هذه الرواية لم يكن مُجرّدَ راوٍ لحادثة تاريخيّة ، الشَّعْبِيُّ في هذه الرواية يُبيّنُ مبدأً هو عدمُ كتابةِ أيِّ حديثٍ ممّا كان يُروى عن النبيّ ﷺ .. وفي الحديث التالي تبيانٌ لمن يُريدُ فهم الحقيقة ..

الدارمي (٤٨٢) :

أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَعِيلَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنْ ابْنِ شُبْرُمَةَ قَالَ سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ مَا كَتَبْتُ سَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ وَلَا اسْتَعَدْتُ حَدِيثاً مِنْ إِنْسَانٍ

.. إذاً .. المناخُ السائدُ بعد وفاة النبيّ ﷺ كان محمّلاً بغيومِ العصبيّات التي تفاقمت إلى درجةِ نشوب المعارك التي راح ضحيّتَها عشراتُ الآلاف من أعناقهم على أيدي بعضهم بعضاً ، وكُتُبُ التاريخ على مُختلفِ مشاربها تؤكّدُ أنَّ قَطْعَ عُنقِ الصحابيِّ مسألةٌ سهلةٌ جداً عند صحابيٍّ آخر ، وأنَّ الأجيال التالية لجيل الصحابة لم تكن أفضلَ حالاً .. لننظر في

الرواية التالية من صحيحي البخاري ومسلم ، لنرى صورةَ ما كان يحـــدث علـــى أرض الواقع ..

البخاري (٦٧٦١) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَوْسٍ النَّصْرِيُّ وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ذَكَرَ لِي ذِكْرًا مِنْ ذَلِكَ فَدَخَلْتُ عَلَى مَالِكٍ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ انْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى عُمَرَ أَتَاهُ حَاجِبُهُ يَرْفَا فَقَالَ هَلْ لَكَ فِي عُثْمَانَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدٍ يَسْتَأْذِنُونَ قَالَ نَعَمْ فَدَخَلُوا فَسَلَّمُوا وَجَلَسُوا **فَقَالَ هَلْ لَكَ فِي عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ فَأَذِنَ لَهُمَا قَالَ الْعَبَّاسُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ الظَّالِمِ اسْتَبَّا** فَقَالَ الرَّهْطُ عُثْمَانُ وَأَصْحَابُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنَهُمَا وَأَرِحْ أَحَدَهُمَا مِنْ الْآخَرِ .....

مسلم (٣٣٠٢) :

و حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ الضُّبَعِيُّ حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ عَنْ مَالِكٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ أَنَّ مَالِكَ بْنَ أَوْسٍ حَدَّثَهُ قَالَ أَرْسَلَ إِلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَجِئْتُهُ حِينَ تَعَالَى النَّهَارُ قَالَ فَوَجَدْتُهُ فِي بَيْتِهِ جَالِسًا عَلَى سَرِيرٍ مُفْضِيًا إِلَى رُمَالِهِ مُتَّكِئًا عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ فَقَالَ لِي يَا مَالُ إِنَّهُ قَدْ دَفَّ أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْ قَوْمِكَ وَقَدْ أَمَرْتُ فِيهِمْ بِرَضْخٍ فَخُذْهُ فَاقْسِمْهُ بَيْنَهُمْ قَالَ قُلْتُ لَوْ أَمَرْتَ بِهَذَا غَيْرِي قَالَ خُذْهُ يَا مَالُ قَالَ فَجَاءَ يَرْفَا فَقَالَ هَلْ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي عُثْمَانَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدٍ فَقَالَ عُمَرُ نَعَمْ فَأَذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا ثُمَّ جَاءَ **فَقَالَ هَلْ لَكَ فِي عَبَّاسٍ وَعَلِيٍّ قَالَ نَعَمْ فَأَذِنَ لَهُمَا فَقَالَ عَبَّاسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْكَاذِبِ الْآثِمِ الْغَادِرِ الْخَائِنِ فَقَالَ الْقَوْمُ أَجَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَاقْضِ بَيْنَهُمْ وَأَرِحْهُمْ**

.....

.. إذا كان العباس يصفُ عليّاً أمامَ عُمر وبحضور عُثْمَانَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدٍ ، إذا كان يصفُه بأنّه كاذب وآثم وغادر وخائن ، وإذا كان العباسُ وعليٌّ قد استبّا في هذا المجلس ، فكيف إذاً يمكننا أنْ نأخذ عن رجالات الجيل الأوّل رواياتٍ نُـــدخلُها ســـاحةَ

المُقدَّسِ ، بمجرّد ما وصلنا بعد قرونٍ من موتِهم أنّهم قد قـالوا ذلـك ؟ .. أم أنَّ هـذه الروايات ليست صحيحة ؟!!! .. أم ماذا ؟!!! ..

.. أليس عليٌّ وعمر وعثمان من رجالات الدرجة الأولى في تصنيف الصحابة كمـا يُصنّف الذين يعنيهم الرجال أكثر ممّا يعنيهم كتاب الله تعالى ؟ .. أليس العبّـاسُ وعَبْـدُ الرَّحْمَن بن عَوْف وَالزُّبَيْر وَسَعْد من كبار الصحابة الذين نُحفِّظُ أسماءهم لأطفالنا ؟ .. ألم يُشارك بعضُ هؤلاء الصحابة في فتنٍ داخليّة راحَ بهما عشراتُ الآلاف من أعناق الصحابة على أيدي الصحابة ذاتِهم ؟!!! .. فهل هؤلاء الصحابة هم ذاتُهم يُوافقون على تصـنيف المُصنّفين لبعضهم في الدرجة الأولى من درجات الصحابة للنبيّ ﷺ ؟!!! .. وإن كان ذلك .. كيف بنا أنَّ نفهمَ أنَّ علياً والعبّاس قد استبّا بحضور عُمَر وعُثْمَان وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْد ، وأن العبّاس اتّهم عليّاً بأنّه ظالمٌ وكاذب وآثم وغادر ؟!!! .. كيف بنا أنْ نفهـمَ قولَ عليٍّ لأبي بكر : **[[ائتِنَا وَلَا يَأْتِنَا مَعَكَ أَحَدٌ كَرَاهِيَـةَ مَحْضَـرِ عُمَـرَ بْـنِ الْخَطَّـابِ]]** كما رأينا في هذه المحطّة ؟!!! .. وكيف بنا أنْ نفهم أنَّ فاطمة بنت محمّد ﷺ هجرت أبا بكرٍ و لم تُكلّمه حتى تُوفيّت ؟!!! .. ألم نرَ في هذه المحطّة كيف أنَّ عثمان رجمَ امـرأةً لا رجمَ عليها ؟!!! .. أليست هذه الأعمال قامَ بها أفرادُ الدرجة الأولى من تصنيف المُصنّفين للصحابة ، ووصلتنا عبر رواياتٍ يُقدّسها من يحسبونَ أنفسَهم حاملي لواء السنّة الشـريفة ؟!!! .. أم أنَّ هذه الروايات ليست صحيحة ؟!!! .. إذاً كيف يطلعُ علينا بعدَ قرونٍ مَنْ موتِ هؤلاء الرجال رجالٌ واضعين أنفسَهم مكان اللهِ تعالى فيصنّفون رجـالات الجيـل الأوّل إلى درجات يضعون كلاً منهم في درجة حسب ما يُوافق العصبيّات التي تمَّ التصنيفُ من أجلِها ؟!!! .. وماذا تُفيدُ الدرجةُ الأولى من درجات تقسيم الصحابة بعد الأعمـال والأفعال التي رأينا جزءاً يسيراً منها في رواياتنا لأصحاب هذه الدرجـة وغيرِهـا مـن الدرجات ؟!!! .. نترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ .....

.. ولننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٦٥٧١) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ حَدَّثَنَا أَبُو حَصِينٍ حَدَّثَنَا أَبُو مَرْيَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ الْأَسَدِيُّ قَالَ **لَمَّا سَارَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ إِلَى الْبَصْرَةِ بَعَثَ عَلِيٌّ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ وَحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ فَقَدِمَا عَلَيْنَا الْكُوفَةَ فَصَعِدَا الْمِنْبَرَ فَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَوْقَ الْمِنْبَرِ فِي أَعْلَاهُ وَقَامَ عَمَّارٌ أَسْفَلَ مِنْ الْحَسَنِ فَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ فَسَمِعْتُ عَمَّارًا يَقُولُ إِنَّ عَائِشَةَ قَدْ سَارَتْ إِلَى الْبَصْرَةِ وَ وَاللَّهِ إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابْتَلَاكُمْ لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ تُطِيعُونَ أَمْ هِيَ**

البخاري (٦٥٧٢) :

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي غَنِيَّةَ عَنْ الْحَكَمِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ **قَامَ عَمَّارٌ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ فَذَكَرَ عَائِشَةَ وَذَكَرَ مَسِيرَهَا وَقَالَ إِنَّهَا زَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَكِنَّهَا مِمَّا ابْتُلِيتُمْ**

.. إذا كان عمّار يقولُ وعلى منبر الكوفة عن عائشة : **[[وَلَكِنَّهَا مِمَّا ابْتُلِيتُمْ]]** ، ويقول عنها : **[[وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابْتَلَاكُمْ لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ تُطِيعُونَ أَمْ هِيَ]]** ، فكيف إذاً نستطيعُ أن نأخذَ من أفرادِ الجيلِ الأوّل نصوصاً نُدخلُها ساحةَ المُقدَّس بمجرد ما قيل بعد قرونٍ ومن أفواه الرجال ، إنَّ هؤلاء الأفراد قد قالوا هذه النصوص قَبل قرون ؟!!! .. أم أنَّ هذه الروايات ليست صحيحة ؟!!! .. أم ماذا ؟!!! ...

.. إذاً .. تصنيفُ اللاحقين للسابقين وَوَضْعُ كلٍّ من السابقين في درجةٍ من درجات هذا التصنيف ، هو صناعةٌ بشريّةٌ مبنيّةٌ من مادّةِ التاريخ المليء بالأهواء والعصبيّات ، ظهرت بعدَ قرونٍ من موت الصحابة .. وَجَعْلُ هذا التصنيفِ علماً وَفَرْضُهُ على الناس باسم الدين ، لا يقاربُ العلم بشيءٍ ، ويناقضُ ما أتي المنهجُ الحقُّ من أجله ، ولا يهدفُ إلاّ إلى تقديم التاريخ برجالاته ورواياتِه كبديلٍ عن منهج التدبّر الحقيقي لدلالاتِ كتابِ الله تعالى ..

.. ولننظر في الرواية التالية ..

البخاري (٦٥٧٩) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا أَبُو شِهَابٍ عَنْ عَوْفٍ عَنْ أَبِي الْمِنْهَالِ قَالَ لَمَّا كَانَ ابْنُ زِيَادٍ وَمَرْوَانُ بِالشَّأْمِ وَوَثَبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ وَوَثَبَ الْقُرَّاءُ بِالْبَصْرَةِ فَانْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي إِلَى أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَيْهِ فِي دَارِهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ عُلِّيَّةٍ لَهُ مِنْ قَصَبٍ فَجَلَسْنَا إِلَيْهِ فَأَنْشَأَ أَبِي يَسْتَطْعِمُهُ الْحَدِيثَ فَقَالَ يَا أَبَا بَرْزَةَ أَلَا تَرَى مَا وَقَعَ فِيهِ النَّاسُ فَأَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ إِنِّي احْتَسَبْتُ عِنْدَ اللَّهِ أَنِّي أَصْبَحْتُ سَاخِطًا عَلَى أَحْيَاءِ قُرَيْشٍ إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ كُنْتُمْ عَلَى الْحَالِ الَّذِي عَلِمْتُمْ مِنْ الذِّلَّةِ وَالْقِلَّةِ وَالضَّلَالَةِ وَإِنَّ اللَّهَ أَنْقَذَكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ بِكُمْ مَا تَرَوْنَ وَهَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَفْسَدَتْ بَيْنَكُمْ **إِنَّ ذَاكَ الَّذِي بِالشَّأْمِ وَاللَّهِ إِنْ يُقَاتِلُ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَاللَّهِ إِنْ يُقَاتِلُونَ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا وَإِنْ ذَاكَ الَّذِي بِمَكَّةَ وَاللَّهِ إِنْ يُقَاتِلُ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا**

.. أليس المعنيون بالعبارات الواردة في هذه الرواية : **[[إِنَّ ذَاكَ الَّذِي بِالشَّأْمِ وَاللَّهِ إِنْ يُقَاتِلُ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَاللَّهِ إِنْ يُقَاتِلُونَ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا وَإِنْ ذَاكَ الَّذِي بِمَكَّةَ وَاللَّهِ إِنْ يُقَاتِلُ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا]]** ، أليسوا من الأجيال السابقة لجيل تدوين الحديث ، تلك الأجيال التي مرَّ الحديثُ عبرها لِيُدوّن بعد قرونٍ من وفاة النبي ﷺ ؟!!! ..... ولننظر إلى الرواية التالية لنرى ماذا يقول عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ عن نفسه وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ ..

مسلم (١٧٣) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنَزِيُّ وَأَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ وَإِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ كُلُّهُمْ عَنْ أَبِي عَاصِمٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ يَعْنِي أَبَا عَاصِمٍ قَالَ أَخْبَرَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ قَالَ حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ ابْنِ شِمَاسَةَ **الْمَهْرِيِّ قَالَ حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ فَبَكَى طَوِيلاً وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ يَا أَبَتَاهُ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا قَالَ** فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِنِّي

كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقِ ثَلَاثٍ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ فَبَسَطَ يَمِينَهُ قَالَ فَقَبَضْتُ يَدِي قَالَ مَا لَكَ يَا عَمْرُو قَالَ قُلْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ قَالَ تَشْتَرِطُ بِمَاذَا قُلْتُ أَنْ يُغْفَرَ لِي قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ **وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا** فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي

.. أليس قولُه : **[[وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا]]** ، أليس هذا القولُ صريحاً بأن لا نجعلَ رجالات الجيل الأوّل أصناماً نرفعُها فوق النقد وفوقَ الجَرْح ؟ .. أليس هذا القولُ صريحاً بأن بعضَ رجالات الجيل الأوّل قد وَلِيُوا أشياءً خافوا هم من عاقبتها ؟ : **[[ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا]]** .. أليس وَضْعُ بعضِ رجالات الجيلِ الأوَّل فوقَ الجَرح هو عَملٌ لا يُؤمن به حتّى أولئك الرجال ذاتُهم ؟!!! .. فكيف يخافون هم من عاقبةِ أشياءٍ فعلوها ، ونأتي نحنُ لنضعَ أعمالَهم التي خافوا منها ، فوق الجرح وفوقَ النقد ، مُبرِّرين لما لم يقوموا هم ذاتُهم بتبريره ؟!!! .. نترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

.. ولننظر إلى الروايات التالية ، نظرةَ الباحث عن الحقيقة ، نظرةَ المؤمن بقولِ الله تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٢] ..

البخاري (٣٧٢٠) :

وَعَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ وَقَالَ اللَّيْثُ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ **وَقَعَتْ الْفِتْنَةُ الْأُولَى يَعْنِي مَقْتَلَ عُثْمَانَ فَلَمْ تُبْقِ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ أَحَداً ثُمَّ وَقَعَتْ الْفِتْنَةُ الثَّانِيَةُ يَعْنِي الْحَرَّةَ فَلَمْ تُبْقِ مِنْ أَصْحَابِ الْحُدَيْبِيَةِ أَحَداً ثُمَّ وَقَعَتْ الثَّالِثَةُ فَلَمْ تَرْتَفِعْ وَلِلنَّاسِ طَبَاخٌ**

البخاري (٤١٥٣) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَتَاهُ رَجُلَانِ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَا **إِنَّ النَّاسَ صَنَعُوا وَأَنْتَ ابْنُ عُمَرَ وَصَاحِبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَخْرُجَ فَقَالَ يَمْنَعُنِي أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ دَمَ أَخِي فَقَالَا أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَقَالَ قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ وَكَانَ الدِّينُ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ اللَّهِ** وَزَادَ عُثْمَانُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي فُلَانٌ وَحَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ عَنْ بَكْرِ بْنِ عَمْرٍو الْمَعَافِرِيِّ أَنَّ بُكَيْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَهُ عَنْ نَافِعٍ أَنَّ رَجُلاً أَتَى ابْنَ عُمَرَ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَحُجَّ عَاماً وَتَعْتَمِرَ عَامًا وَتَتْرُكَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَدْ عَلِمْتَ مَا رَغَّبَ اللَّهُ فِيهِ قَالَ يَا ابْنَ أَخِي بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ إِيمَانٍ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالصَّلَاةِ الْخَمْسِ وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ قَالَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَلَا تَسْمَعُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ قَالَ فَعَلْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ الْإِسْلَامُ قَلِيلاً فَكَانَ الرَّجُلُ يُفْتَنُ فِي دِينِهِ إِمَّا قَتَلُوهُ وَإِمَّا يُعَذِّبُونَهُ حَتَّى كَثُرَ الْإِسْلَامُ فَلَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ قَالَ فَمَا قَوْلُكَ فِي عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ قَالَ أَمَّا عُثْمَانُ فَكَأَنَّ اللَّهَ عَفَا عَنْهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَكَرِهْتُمْ أَنْ تَعْفُوا عَنْهُ وَأَمَّا عَلِيٌّ فَابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَتَنُهُ وَأَشَارَ بِيَدِهِ فَقَالَ هَذَا بَيْتُهُ حَيْثُ تَرَوْنَ

البخاري (٤٢٨٤) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا بَيَانٌ أَنَّ وَبَرَةَ حَدَّثَهُ قَالَ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ **خَرَجَ عَلَيْنَا أَوْ إِلَيْنَا ابْنُ عُمَرَ فَقَالَ رَجُلٌ كَيْفَ تَرَى فِي قِتَالِ الْفِتْنَةِ فَقَالَ وَهَلْ تَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ وَكَانَ الدُّخُولُ عَلَيْهِمْ فِتْنَةً وَلَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى الْمُلْكِ**

البخاري (٦٥٨٠) :

حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ وَاصِلٍ الْأَحْدَبِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ **عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ الْيَوْمَ شَرٌّ مِنْهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا يَوْمَئِذٍ يُسِرُّونَ وَالْيَوْمَ يَجْهَرُونَ**

البخاري (٦٥٨١) :

حَدَّثَنَا خَلَّادٌ حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ **عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ إِنَّمَا كَانَ النِّفَاقُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّمَا هُوَ الْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيمَانِ**

.. إذا كان سعيد بن الْمُسَيَّب يقول في عَصره : **[[وَقَعَتْ الْفِتْنَةُ الْأُولَى يَعْنِي مَقْتَلَ عُثْمَانَ فَلَمْ تُبْقِ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ أَحَداً ثُمَّ وَقَعَتْ الْفِتْنَةُ الثَّانِيَةُ يَعْنِي الْحَرَّةَ فَلَمْ تُبْقِ مِنْ أَصْحَابِ الْحُدَيْبِيَةِ أَحَداً ثُمَّ وَقَعَتْ الثَّالِثَةُ فَلَمْ تَرْتَفِعْ وَلِلنَّاسِ طَبَاخٌ]]** .. وإذا كان ابنُ عُمَر يقولُ في فتنة ابن الزبير : **[[وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ اللَّهِ]]** .. وإذا كانَ ابنُ عُمَر يقولُ في عَصره أيضاً : **[[كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ وَكَانَ الدُّخُولُ عَلَيْهِمْ فِتْنَةً وَلَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى الْمُلْكِ]]** .. وإذا كان حُذَيْفَةُ بْن الْيَمَانِ يقول في عَصره : **[[إِنَّ الْمُنَافِقِينَ الْيَوْمَ شَرٌّ مِنْهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا يَوْمَئِذٍ يُسِرُّونَ وَالْيَوْمَ يَجْهَرُونَ]]** ، وإذا كان يقولُ : **[[إِنَّمَا كَانَ النِّفَاقُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّمَا هُوَ الْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيمَانِ]]** .. وكُلُّ ذلك في كُتُب الصحاح التي يرفعونَها إلى مستوى المُقدَّس .. فماذا يُمكنُ أنْ يُقال

بعد ذلك بقرون ؟!!! .. وماذا يُمكن أن يُقال عن حقيقةِ الواقِع فيما لو تمَّ نقل هذا الواقع عبر رواياتٍ لا تنتمي لمدرسةِ مكيجةِ أفراد الأجيال الأولى ؟!!! .. وماذا يمكنُ أن يُقال عن تصنيف الرجال اللاحقين للرجال السابقين لهم بقرون ، وَعن وَضْعِهم في درجاتٍ ، بحيث يُقدَّمُ هذا التصنيفُ على أنَّه علمٌ مُقَدَّسٌ يُفرَضُ على الأمّة ، لدرجةٍ يُكَفَّرُ فيها من لا يؤمن به كإيمانه بالقرآن الكريم ؟!!! .. نترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..... ولننظر في الرواية التالية ..

البخاري (٢٦٠١) :

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ لَهُ وَلِعَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ائْتِيَا أَبَا سَعِيدٍ فَاسْمَعَا مِنْ حَدِيثِهِ فَأَتَيْنَاهُ وَهُوَ وَأَخُوهُ فِي حَائِطٍ لَهُمَا يَسْقِيَانِهِ فَلَمَّا رَآنَا جَاءَ فَاحْتَبَى وَجَلَسَ فَقَالَ كُنَّا نَنْقُلُ لَبِنَ الْمَسْجِدِ لَبِنَةً لَبِنَةً **وَكَانَ عَمَّارٌ يَنْقُلُ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَسَحَ عَنْ رَأْسِهِ الْغُبَارَ وَقَالَ وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ عَمَّارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ**

.. كيف نُبرِّرُ العبارةَ الواردةَ في هذه الرواية والمنسوبة إلى الرسول ﷺ : **[[وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ عَمَّارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ]]** ، وإنْ برّرَ بعضُهم عبارة : **[[الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ]]** تبريراً لا تُسعفه دلالات الجذر اللغوي (ب ، غ ، ي) ، فكيف سيبرّرون العبارة : **[[عَمَّارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ]]** ، ألا تعني هذه العبارة أنَّ هذه الفئةَ الباغيةَ تدعوا إلى النار ؟ .. أليس أفرادُ هذه الفئة الباغية الداعية إلى النار ، أليسوا من رجالات الجيل الأوّل الذين يُطلبُ منّا أن نرفعَهم فوق الجرح ، وأن نقبلَ منهم أيَّ رواية عن الرسول ﷺ تُنسبُ إليهم بعد قرونٍ من موتهم ؟!!! .. أم أنَّ هذه الرواية ليست صحيحة ؟!!! .. أم نُطلّقُ عقولَنا ونقبل بالمتناقضات في الوقت ذاتِه ؟ ..

.. كيف لمن يُؤمن بصدق هذه الروايات لمجرّدِ وجودِها في الصحاح .. كيف لـه أنْ يُقدّمَ كلَّ رجالات الجيل الأوّل على أنّهم كلّهم عدول ، وأنّهم فوق الجرح والتعديل ؟!! .. كيف بنا أن نُدركَ حقيقةَ المنهج عندما نُكفّرُ من ينكرُ بعضَ هذه الروايات في الصحاح

في الوقت الذي نُعرضُ فيه عن دلالاتِها ونخافُ من عرضِها للناس ؟!!! .. كيف يكون مِنَ المقدَّسِ ما نخاف من عرضه واطّلاعِ الناس عليه ؟!!! ، كيف يكون مِنَ المقـــدَّسِ ؟!!! .. هل الحقيقةُ بحاجةٍ إلى تلبيسٍ عليها وإلى إغماض العينين عن بعضِ ما أُعتبرَ مقدّساً ، أم أنّ الحقيقةَ بحاجةٍ إلى تدبّر ما بين أيدينا من روايات ، مهما قيل عن هذه الروايات ؟ ..

.. هل الروايات التي عرضناها في هذه المحطّة وفي غيرها ، هل جئنا بها من جيوبنا أم أنّها موجودة في كتب الصحاح التي نُحفّظها لأبنائنا .. لماذا يخافُ بعضُهم من عرضِ هذه الروايات ، ولا يخافون من إعراضِهم عن قولِه تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة : ١٠١]

.. أليس هؤلاء الذين مردو على النفاق ، أليسوا من أهل المدينـــة ؟ ، أليســـوا قـــد صحبوا النبيّ ﷺ وعاشوا معه ورأوه ، وعلى الرغم من كلّ ذلك لم يعلم ﷺ أنّهـــم قـــد مردوا على النفاق ؟ ..... أليس الذين كانوا ينفضّون من الصلاة خلف النبيّ ﷺ ويتركونه قائماً من أجل اللهو والتجارة ، أليسوا من أفراد الجيل الأوّل ، ومن الذين تنطبق علـــيهم تعاريفُ الصحابة كما سنرى لاحقاً إن شاء الله تعالى ؟!!! .. هذا موجودٌ في كتـــاب الله تعالى ، و لم نأتِ به من عند أنفسِنا .. يقولُ تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [الجمعة : ٩ – ١١]

.. أليس الذين انقلبوا على أعقابهم من أفراد الجيل الأوّل .. أليسوا من الصحابة الذين لم يكونوا منقلبين قبل وفاته ﷺ ؟ .. وإلاّ كيف بنا أن نفهمَ قولَ الله تعالى :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤]

.. إنّنا نرى أنَّ حَرْفَ الفاء قد دخلَ على جُملةِ الشرط : ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ ، وليس على جُملةِ الجزاء ﴿ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ ﴾ .. فاللهُ تعالى لم يقل : (أفتنقلبون على أعقابكم إن مات أو قُتل) ، إنّما يقول : ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ ﴾ ، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ المسألةَ تحملُ – فيما تحمل – تقريراً بانقلابٍ على الأعقاب بعد خروجِ محمّد ﷺ من الدنيا سواءٌ كان ذلك بالموت أو كان بالقتل ..

.. ومن جهةٍ أُخرى لماذا يقولُ الله تعالى ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ مع أنَّ الله تعالى يُبيّن لنا أنَّ محمداً ﷺ سيموت ولا يُقتَل ؟!!! .. يقولُ تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] .. فقولُهُ تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ ﴾ يستثني القَتل ..... نقول : ورودُ الاحتمالين الموت والقتل ، مع العلم أنَّ الموت هو الذي سيحصل ، هذا الورود يُؤكِّدُ أنَّ المسألةَ لا يُرادُ منها مُجرّدُ سردٍ تاريخيٍّ لأحداثٍ تاريخيّة .. المسألةُ يُرادُ منها تبيانُ مبدأٍ عقائديٍّ بأنَّ المنهجَ لا يتعلّقُ بشخصِ محمّدٍ ﷺ ، وأنَّ المنهجَ مُستقلٌ حتى عن تاريخ الأحداث في الجيل الأوّل ، فخروجُ محمّدٍ ﷺ من الدنيا سواءٌ بالموت أم بالقتل لا يُغيّرُ شيئاً من المنهج المُحتوى في النصِّ القرآني المحفوظ من قِبَلِ الله تعالى .. وكنّا قد بيّنا في شرحِ حكمةِ تدرّج الرسالات السماويّة ، كيف أنَّ المنهجَ كُلَّ المنهج وأنَّ المُعجزةَ كُلَّ المعجزة تركّزتا في النصِّ القرآني ..

.. ومن جهةٍ أخرى .. اللهُ تعالى لم يقل : (انقلبوا على أعقابهم) بصيغةِ الغائب ، إنّما يقول : ﴿ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ ﴾ بصيغة المُخاطَب ، والله تعالى لم يقل : (انقلبَ بعضُكم على أعقابهم) ، إنّما يقول : ﴿ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ ﴾ ، بل إنَّ كلمة

﴿ ٱنقَلَبْتُم ﴾ تعني رجوعاً عن أمرٍ كان المُنقلبُ متمسِّكاً به قبل خروجِ محمّد ﷺ من الدنيا .. إذاً المسألةُ ليست كما يُصوِّرُها بعضُهم على أنّها تعني بعضَ المُرتدّين .. المسألةُ تعني تحذيراً لنا من الله سبحانه وتعالى ألاّ نجعلَ الرجالَ مهما كانوا وألاّ نجعلَ رواياتِ التاريخ مهما كانت ، ألاّ نجعلَ كُلَّ ذلك في درجةِ المُقدَّس التي نرى بها كتابَ الله تعالى .. وكلُّ ذلك تختزلُه الآيةُ الكريمة :

﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثـــية : ٦]

.. من يُطلِّقُ عقلَه لا يمكنُ أن يكونَ على حق ولو أصابَ الحقيقة .. ومن يعمل بأمرِ الله تعالى فلا يقْفُ ما ليس له به علم ، مُتدبّراً آياتِ كتابِ الله تعالى بتجرّد ، يكون قد دخل ساحةَ مرضاةِ الله تعالى حتى وإن لم يصل إلى كاملِ الحقيقة .. نحن لا نريدُ من عرض الروايات في هذه المحطّةِ وغيرها إلاّ التمهيدَ لإدراكِ الحقيقة .. فمفهومُ الصحابةِ عند السنّة ومفهومُ آلِ البيت عند الشيعة لُبّس فيه الكثيرُ على الحقيقة ، وَرُفِعَ فيهما رجالاتُ التاريخ وروايأتُه إلى درجة المقدّس الذي أصبحَ مع الزمن صنماً يحولُ بين الأمّةِ وبين رؤيةِ الحقّ في كتاب الله تعالى ..